

السُّهْلُ طَرِيقٌ لِلْإِسْقَامَةِ

راجعہ و قدیم لہ فاضلہ اشرف

د. سعید بن احمد بن فریح القحطانی

اعداد

ہذا عن ابن ابي عمير عن ابي عبد الله السعدي

كتاب التفسير

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤١٩هـ

دار القاسم للنشر، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الشعيل، هاشم بن عبد الله.

أسهل طريقة للاستقامة .. الرياض .

٤٨ ص : ١٢ × ١٧ سم

ردمك : ٨ - ٠٧٨ - ٣٣ - ٩٩٦٠

٢- الأخلاق الإسلامية

١- الاستقامة

١- العنوان

٢- الوعظ والإرشاد

١٨/١٨٥٠

ديوي ٢١٣

رقم الإيداع : ١٨/١٨٥٠

ردمك : ٨ - ٠٧٨ - ٣٣ - ٩٩٦٠

العنوان ، الرياض . طريق الملك فهد جنوب شارع التلفزيون

للمراسلات ، الرمز البريدي : ١١٤٤٢ . ص . ب : ٦٣٧٣
هاتف : ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس : ٤٠٣٣١٥٠

✦ البريد الإلكتروني : sales@dar-alqassem.com

✦ موقعنا على الإنترنت : www.dar-alqassem.com

تقديم

حينما استشارني الأخ الكريم هاشم بن عبد الله الشعيل في إصدار هذا الكتيب وطلب مني التقديم له أوضحت له رأبي وقلت له إن المكتبة الإسلامية قد أتخمت بالعديد من المؤلفات الحديثة التي لا يحمل أكثرها معنى جديداً أو تبتكر أسلوباً جذاباً، وإنما هي تكرار أو اجترار. لكن حينما اطلعت عليه لم أتردد في كتابة هذه التقديم لإعجابي الكبير بالفكرة الرائدة والطريقة المبتكرة والعرض الجذاب الذي وفق إليه؛ حيث سلك في منهجه مسلكاً واقعياً يبين للقارئ الكريم حقيقة وضعه الديني ومركزه الإيماني. وأين هو من الله بعيداً عن العواطف والخيالات أو الاغترار بالدعاية والشعارات، إذ أن الإنسان حين يعرف نفسه ويكشف مواطن الضعف والقصور فيه فإن ذلك يدفعه إلى تناول العلاج وإصلاح الخلل بالطرق المثالية التي أشار إليها الأخ الكريم وأوضحها وبينها أفضل بيان بعد أن أورد ما يدعو إلى القناعة التامة بأنه لا خيار في سلك طريق الاستقامة إذ هي طريق السعادة والفوز والفلاح في الدنيا والآخرة.

أسأل الله أن يثيب الأخ هاشم على هذا الجهد وأن ينفع به من يطلع عليه إنه سميع مجيب.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كتبه

سعيد بن مسفر القحطاني

تمهيد

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه ولعظيم سلطانه، خلقنا من عدم لعبادته وأرسل إلينا رسلاً يهدون إليه، فله الحمد والمنة .

والصلاة والسلام على من أَرَادَهُ اللهُ أَنْ يَكُونَ خَاتِماً لِلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ ، وَأَنْ تَكُونَ رِسَالَتُهُ نَاسِخَةً لِمَا قَبْلُهَا كَافَةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ ، نَبِينَا مُحَمَّدٍ أَنْذَرْنَا مِنَ النَّارِ وَبَشَرْنَا بِالْجَنَّةِ .

ويعد : فنحمد الله الذي مَنَّ عَلَيْنَا حِينَ خَلَقْنَا مُسْلِمِينَ نَشْهَدُ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ . وَبِمَا أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ - كَمَا فِي عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ - فَإِنَّا نَتَفَاوَتُ فِي دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ .

ورغبة في زيادة الإيمان لدينا ومعالجة جوانب النقص فيه أقدم للقراريء الكريمة هذا الجهد المتواضع سائلاً الله عز وجل أن يبارك فيه وأن ينفع به .

وصلّى الله على نبينا محمد .

مقدمة

لماذا هذه الرسالة أو هذا الكتيب؟

لأننا خير أمة أخرجت للناس وأصحاب آخر رسالة سماوية مكلفين بإبلاغها للناس جميعاً - فقد ابتلينا بمصيبتين أحاطت بنا من كل جانب **الأولى** بُعد الكثير منا عن الله عز وجل وعن تعاليم ديننا الحنيف وهدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وما ترتب على ذلك من الاستسلام والانقياد للدنيا بملذاتها ومتاعبها وزخرفها؛ وكانت نتيجة المتاعب النفسية بلا حدود كالضيق والإحساس بالملل وانعدام السعادة. ولولا فضل الله لكان الانتحار أحد هذه المتاعب كما يحدث في البلاد غير الإسلامية.

إضافة إلى الآثار الاجتماعية، وما تفكك الأسر وعدم سؤال الأخ عن أخيه أو الجار عن جاره وأحياناً قطع الأرحام وغلاء المهور والعنوسة والطلاق والمعاكسات إلا أمثلة يسيرة لهذه الآثار. والآثار الاقتصادية الناتجة عن هذا البعد كثيرة نذكر منها مثلاً آثار إهدار الثروات في السياحة الخارجية على دخل الأسرة والمجتمع وبالجمله محق بركة الرزق.

ليس هذا فحسب بل مع كل هذا تأتي **المصيبة الثانية** وهي ازدياد

الفتن في عصرنا الحاضر بدرجة لم تصل إليها أمة قبلنا منذ بعثة النبي ﷺ، وليس بخافٍ عن أحد أمثلة لهذه الفتن إلا أننا نشير إلى فتنه تقنية الاتصالات بكافة أشكالها، والتي قربت البعيد وجعلت الكون الفسيح كالقرية الصغيرة؛ وما يترتب على ذلك من اختلاط الشر بالخير واهتزاز العقيدة وفساد السلوك وضياع القيم . . الخ . كل هذا وذاك محيطه ومجاله واحد، أتدرون ما هو؟ إنه القلب . تلك المضغة التي جعل الخالق سبحانه وتعالى صلاحنا وفسادنا في فسادها .

فدعونا نحيي بذرة الإيمان المغروسة فينا لتترعرع وتكبر وتقودنا لخير الدنيا والآخرة بدلاً من إضعافها وتركها للفتن تعصف بها وتهلكها وتقودنا إلى الهاوية . . وهيا برغبتنا وصدق التوجه لخالقنا نعود سوياً إلى طريق الخير؛ طريق الاستقامة .

أسأل الله العليّ القدير أن يهدينا لهذا الطريق ويثبتنا عليه، وأن يتقبل هذا العمل بقبول حسن، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وسبباً في دخول جنات النعيم لمؤلفه وقارئه وكل من ساهم في إخراجه ونشره، إنه خير مسؤول وأكرم مأمول .

هاشم بن عبد الله الشعيل

الاستقامة*

ما المقصود بالاستقامة؟ وما هو السبب في كونها المخرج الوحيد والعلاج الرئيسي لكافة أمراضنا ومشكلاتنا؟

الاستقامة لغة: من (قوم) أو الشيء اعتدل، استوى (استقام في سيرته) استقام أمره. (١)

والاستقامة (الاعتدال) يقال استقام له الأمر وقوله تعالى ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٦] أي في التوجه إليه دون الآلهة، وقام الشيء واستقام: اعتدل واستوى وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت: ٣] معنى قوله استقاموا عملوا بطاعته ولزموا سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي الحديث: «قل آمنت بالله ثم استقم» فسر على وجهين قيل هو الاستقامة على الطاعة، وقيل هو ترك الشرك.

والاستقامة هي اسم جامع للأقوال والأفعال التي تحكم سلوك الإنسان وفق ما جاء به القرآن الكريم والسنة المطهرة. قال تعالى

(١) معجم الرائد، جبران مسعود، دار العلم، بيروت ١٩٨٧.

(*) قد يرد مصطلح التقوى في بعض المواقع من هذا البحث كبديل عن مصطلح الاستقامة.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ، آية : ١٥٣] (٢). وهي ضد الانحراف وهذا المعنى يكاد يكون واضحاً حتى عند عوام الناس فإنهم إذا رأوا رجلاً متمسكاً بدينه محافظاً على أوامر ربه قالوا عنه مستقيم ، وإذا رأوا آخر وقد سلك سبيل الضلال والغواية قالوا عنه منحرف . إلا أن مفهوم الاستقامة أحياناً يكون ناقصاً عن البعض إذ يفهمه البعض على أنه الاستقامة المادية والأخلاقية والاجتماعية ، مع إهمال الاستقامة الدينية التي هي المقصود أصلاً في قول النبي ﷺ «قل آمنت بالله ثم استقم» (٣) . أي على العمل الصالح بفعل أوامر الله وترك نواهيه» (٤) .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، المجلد الخامس، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠١هـ .

(٣) عن سفيان بن عبد الله الثقيفي قال : قلت : يا رسول الله ! قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك . قال أبو معاوية : بعدك . قال : «قل آمنت بالله ثم استقم» مسند أحمد من كتاب «مسند المكين» حديث رقم ١٤٨٦٩ .

(٤) شرح وتعليق فضيلة الشيخ الدكتور : سعيد بن مسفر القحطاني .

أين أقف الآن؟

سؤال من أهم الأسئلة في حياتنا إن لم يكن أهمهما، وهو الخطوة الأولى في رحلتنا المنشودة رحلة طريق الاستقامة «إذ أن مراجعة النفس ومساءلتها خاصة كبرى يمتاز بها ذوو العقول» التي تفكر فقط «فضلاً عن كون المراجعة والمحاسبة تمثل الأساس لعملية التقييم و«التقويم»».

وعكس ذلك من أغفل هذا الجانب حيث سيكون التقصير صفة ملازمة له والذي قد يقوده للخسران والهلاك.

وحالك مع نفسك كمثل المدرس والطالب؛ فإن أهمل المدرس جانب المتابعة والمحاسبة أهمل الطالب وتكاسل ورسب في الامتحان، وإن تابع المدرس وحاسب حمل الطالب على محمل الجد والاجتهاد وبالتالي الفوز والنجاح. وحتى تعرف أين أنت من الاستقامة وتبدأ في مراجعة ومحاسبة النفس، هذه مجموعة من الأسئلة تهدف لمساعدتك في هذا الطريق الخير.

وقد قسمت هذه الأسئلة إلى مجموعتين في ترتيب غير مقصود في معظمها.

المجموعة الأولى: وتمثل بعض أعمال الطاعات وأنواع القربات. والمجموعة الثانية: تمثل بعض أنواع المعاصي والذنوب.

المجموعة الأولى : (الطاعة والقربات ،

نعم أحياناً لا

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تصلي الفجر جماعة في المسجد؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تبر والديك؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تصل رحمك؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تحافظ على الصلاة في وقتها بالمسجد؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تتصدق؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تقرأ القرآن يومياً؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تصوم الاثنين والخميس؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تعاود العمرة بالعمرة؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تقوم من الليل (صلاة التجهد)؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تزور مرضى المسلمين؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تحسن لجيرانك؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تبكر لصلاة الجمعة؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

هل تصوم الأيام البيض (١٣-١٤-١٥) من

كل شهر؟

نعم أحياناً لا

هل تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟

هل تؤدي عملك الذي تأخذ عليه أجراً
كما هو مطلوب؟

هل تحضر حلق الذكر ومجالس العلم؟

هل تحرص على الكسب الحلال؟

هل تتعاطف مع قضايا المسلمين أفرحهم وأحزانهم؟

هل تحسن للأيتام والفقراء والمساكين؟

هل تحفظ أجزاء من كتاب الله؟

هل ترحم الصغير وتوقر الكبير؟

هل تحافظ على النوافل (سنن الرواتب)؟

هل تعامل زوجك وأولادك بالحسنى؟

هل تصوم ستة أيام من شوال؟

هل تزور إخوانك في الله؟

هل تشيع الجنائز وتصلي عليها؟

هل تصوم يوم عرفة وعاشوراء؟

نعم أحياناً لا

• هل تمارس الدعوة إلى الله؟

• هل تصلي الضحى؟

• هل لسانك رطبٌ بذكر الله؟

• هل تبكي من خشية الله؟

• هل تميّط الأذى عن الطريق؟

• هل تساهم في قضاء حوائج الناس؟

• هل تسلم على من تعرف ومن لا تعرف؟

• هل تؤدي الأمانة إلى أهلها؟

• هل تتوكل على الله حق توكله في كل

أحوالك؟

• هل تساهم في نشر الخير في أي صورة؟

المجموعة الثانية: « المعاصي والذنوب »

على الرغم من مرارة المواجهة وصعوبة الأجوبة فيما يلي إلا أن الإجابة عليها ومصارحة النفس تمثل الأساس للتوجه للخير، إذ لو أطعنا أنفسنا لما تساءلنا واحداً من هذه الأسئلة فضلاً عن أن يوجهها لنا شخص آخر سواء في شكل سؤال أو نصيحة، ولكن هنا فرصة للمواجهة بينك وبين نفسك حتى تقهرها وتحاسبها قبل أن تحاسب فاستعد بالله من الشيطان الرجيم وأجب:

٦. هل تشرك بالله؟ (٦)

نعم أحياناً لا

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

أ - هل تذبح لغير الله؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

ب - هل تستعين بغير الله؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

ج - هل تعلق أو تقتني التماائم والتعويذات؟

<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>	<input type="checkbox"/>
--------------------------	--------------------------	--------------------------

د - هل تحلف بغير الله؟

(٦) حتى تطهر من الشرك يلزمك:

١ - التوبة

٢ - قل: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم وأستغفرك من

الذنب الذي لا أعلم «جزء من حديث طويل أخرجه أحمد وصححه

الالباني في صحيح الجامع وهو كفارة للشرك الخفي».

نعم أحياناً لا

هـ- هل تشعر بالرياء؟ (٧)

• هل تحلف كاذباً (اليمين الغموس)؟

• هل تعق والدك؟

• هل تشهد الزور؟

• هل تتعاطى الخمر أو المخدرات؟

• هل تأكل الحرام (كالرشوة والغش . . .)؟

• هل تتهاون بالصلاة؟

• هل تهتك أعراض المسلمين؟

• هل تمشي بالنميمة؟

• هل تتكبر على إخوانك المسلمين؟

(٧) الرياء : مصدر راءى ، وهو أن يظهر الإنسان من نفسه خلاف

ما هو عليه، معجم الرائد، سبق الإشارة إليه . والرياء : هو

اهتمامك برؤية الآخرين لك أثناء أدائك للعبادات كأن تزيد في الطاعة

رغبة في مدحهم أو خوفاً من نقدهم . وفي لسان العرب يقول تعالى

﴿الذين هم يراءون﴾ يعني المنافقين أي إذا صلى المؤمنون صلوا معهم،

يراءونهم، أنهم على ما هم عليه . لسان العرب لابن منظور ، المجلد

الثالث : دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١ .

نعم أحياناً لا

هل تحسد إخوانك المسلمين؟

هل تجاهر بالمعصية؟

هل تسبل الثوب؟

هل تهمل في الطهارة من البول أو الجنب؟

هل تنظر للحرام؟

هل تسمع الغناء والموسيقى؟

هل تدخن أو تشرب الشيشة أو الشمة أو

تأكل القات؟

هل تشاهد الأفلام والمسلسلات؟

هل تحلق اللحية؟

هل تمارس الكذب؟

إن الإجابة على الأسئلة السابقة بصراحة سيعرفك أين تقف الآن. فإن كانت إجاباتك أو معظمها في الخانة الأولى بالنسبة للمجموعة الأولى من الأسئلة وفي الخانة الثالثة بالنسبة للمجموعة الثانية، فاحمد الله الذي هدك وما كنت لتتهدي لولا أن هدك، ولا تغتر بعملك واستزد من الطاعة واشعر دوماً بالتقصير. أما إذا كانت أكثر إجاباتك في الخانة الثانية والثالثة من

المجموعة الأولى من الأسئلة وفي الخاتمة الأولى والثانية بالنسبة للمجموعة الثانية فاحمد الله الذي أحياك حتى هذه اللحظة، وبعد فإن هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه ثم بعزمك ورشدك سينير لك الطريق لتعيش خيري الدنيا والآخرة. فهل ترافقني في هذا الطريق؟

إذا كانت الإجابة على الفور بنعم فاعلم أنك على خير، وإن كنت تشعر بالتكاسل عن السير فإنني أدعوك أن ترافقني فقد آن الأوان أن نقول لأنفسنا وأعدائنا من شياطين الإنس والجن: إننا قادمون في طريق الخير وطريق الفلاح إلى هدى الله وطريق نبينا محمد ﷺ، قادمون إلى رب طالما أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وطالما حلم علينا حينما نعصاه ولا نعبده حق عبادته وتواب تفضل علينا بقبول التوبة قبل الموت.

رحلة طريق الاستقامة

وكانني بك قد نهضت ونفضت غبار المعصية من وجهك وجسدك كله لترافقني بعد أن أدركت أهمية السير وخطورة التكاثر وبعد أن استعنت بالله وصدقت التوجه لربك، فيا فرحة ربك بك حينما بشرته بسيرك في الطريق الذي ارتضاه لك، ويا فرحة نبيك محمد ﷺ بك حينما لبيت دعوته للسير في الطريق الذي ظل ينادي له ثلاثة وعشرين سنة ويا فرحة أهلك بك حين بشرتهم بالخير كله، ويا فرحتي بك حينما ترافقني في طريق وتؤنسني في وقت نحن في أمس الحاجة لبعضنا أكثر من أي وقت. فهأنذا أمد لك يدي فلا تردد في أن تشد عليها وتنهض كالأسد الهصور أو الفارس الصنديد الذي انتصر على أعدائه (الهوى، والنفس، والشيطان) أو إن شئت فانهض واجفل كغزال يطارده شبح الموت، المهم ستجد يدي ممدودة على أي حال.

أخي :

لا تتصور فرحتي حين وضعت يدك في يدي فيعلم الله أن سعادتي برفقتك في هذا الطريق لا توصف «ورجلان تحابا في الله

اجتمعاً عليه وتفرقا عليه»^(٨) وفي الحديث «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء»^(٩).

وقبل أن نبدأ رحلتنا أبشرك أن معنا مصباحين سينيران لنا طريقنا ويؤنسنا في وحشتنا (كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ) ولكني سأخبرك بمتطلبات السير ، أي قبل البدء فيه ، وسأنبهك إلى بعض ما قد يعترض سيرنا ، كما سأخبرك عما سنجدّه حينما يستتب لنا السير وما عسانا أن نجدّه في النهاية .

(٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلات تحابا في الله اجتمعاً عليه وتفرقا عليه ، ورجل دعتة امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» رواه مسلم في كتاب الزكاة حديث رقم ١٧١٢ ، والبخاري في كتاب الأذان حديث رقم ٦٢٠ .

(٩) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغطهم النبيون والشهداء» رواه الترمذي في كتاب الزهد ، حديث رقم ٢٣١٢ .

أ) الاستعداد للرحلة

(أولاً): لابد من وجود الرغبة الصادقة للسير في هذا الطريق، فإن لم توجد فعليك بإيجادها، فبدون رغبتك في الخير فلن تستطيع أن تخطو خطوة واحدة. ولإيجادها تذكر ما يلي :

١ - أن الله تعالى لم يخلقك عبثاً حيث يقول: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون، الآية: ١١٥].

٢ - أن الله خلقك للعبادة وبها تحصل على خيرى الدنيا والآخرة، قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات، الآية: ٥٦].

٣ - أن الشيطان عدوك اللدود والذي أخرج أبويك من الجنة، حريص على إخراجك من طريق الخير ويعمل جاهداً لأن تبقى في طريق الشر، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص، الآية: ٨٢].

٤ - ما يدريك أن تكون هذه الرحلة آخر رحلة تسير فيها أو أن تكون يدي آخر يد تمتد إليك.

(ثانياً): أعلن بأكبر صوت داخل نفسك بينك وبين الله

«التوبة، التوبة» التوبة إلى الله والعودة والإنابة إليه من كل المعاصي والآثام، واعلم أن الله جل جلاله وتقدست أسماؤه أشد فرحاً بك ممن وجد ضالته بعد أن كاد يهلك^(١٠) مع أنه الغني عنا معشر البشر وعن عبادتنا إلا أنه رحيم بنا إذ يتنزل جل وعلا في الثلث الأخير من كل ليلة ليقول: «هل من سائل فأعطيه، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر فيغفر له» حتى ينفجر الصبح^(١١).

ويقول في محكم التنزيل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر، الآية: ٥٣] فأبشروا أخي بالخير.

(١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهراً». رواه مسلم في كتاب التوبة حديث رقم ٤٩٢٧.

(١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل يعطى، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له، حتى ينفجر الصبح» رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم ١٢٦٣.

(ثالثاً): وبعد إعلان التوبة اعزم على الخير وتوكل على الله واطلب منه العون والسداد، واعلم أن ذلك لن يتطلب منك جهداً بدنياً للقيام بأعمال شاقة أو جهداً عضلياً كحمل أثقال، ولا يتطلب الأمر الذهاب للمحكمة أو القاضي للاعتراف بذنوبك ومعاصيك مهما بلغت فقد سترها الستار وغفرها الغفار حيث يقول: ﴿وَإِنِّي لَفَقَارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه، الآية: ٨٢].

ويقول ابن القيم رحمه الله في هذا الشأن (١٢): فالذي مضى تصلحه بالتوبة والندم والاستغفار، وذلك شيء لا تعب عليك فيه ولا نصب ولا معاناة عمل شاق إنما هو عمل قلب، وتمتنع فيما يستقبل من الذنوب، وامتناعك ترك وراحة، ليس هو عملاً بالجوارح يشق عليك معاناته وإنما هو عزم ونية جارفة تريح بدنك وقلبك وسرك. فما مضى تصلحه بالتوبة، وما يستقبل تصلحه بالامتناع والعزم والنية» انتهى كلامه رحمه الله.

ومتي ما صدقت العزم فاعلم أن الله معك، يقول تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت، الآية: ٦٩] ويقول أيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

(١٢) الفوائد، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،

محسنون ﴿ [النحل، الآية: ٢٨]. وبعد صدق العزم والتوكل على الله تكون قد أتممت متطلبات الرحلة. فمرحباً بك وحياك ربك.

طرق الاستعداد للرحلة

قد تتحمس وتتولد لديك رغبة جامحة في السفر لكنك تشعر بأنك مقيد بالمعاصي الكثيرة، وهنا ستكون فرصة الشيطان كبيرة لتثيبت همتك كأحد حيله الخبيثة وقد يصل بك إلى القنوط من رحمة الله، هنا تذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر، الآية: ٥٣].

ومن وساوسه المعروفة بأنك من أصحاب الذنوب والكبائر والمعاصي العديدة فكيف تتصدق أو كيف تصلي أو تزكي وأنت تمارس كذا؟ أو كيف تأمر بمعروف من جهة وتأتي بمنكر من جهة أخرى؟ وهذه وساوس تهدف إلى تقليل العزم، ويمكن الرد عليها بالقول إن إبليس قد أضلنا بارتكاب المعاصي والذنوب في المرة الأولى فهل نترك عمل الخير ونعطيه فرصة لإضلالنا للمرة الثانية؟ إن أصحاب العقول فقط سيقولون كلا، وسيدركون أن اتباع الشيطان هو الخسران الميين.

هنا نقف استعداداً للرحلة بأحد طريقتين :

الطريقة الأولى : طريقة البتر :

«من بتر السيف» وهي أن تقطع كل صلة بالشيطان أو ما يميل إليه هوأك دفعة واحدة وكأنك تقطع جزءاً فاسداً من جسدك لو تركته لأفسد عليك جسدك كله، ومثال ذلك أن تمسي عاصياً وتصبح في اليوم التالي عابداً طائعاً نقيماً طاهراً من المعاصي والذنوب، وهي التوبة النصوح التي تبدأها النية الصادقة والعزم الجاد وبعد التوكل على الله وطلب العون منه ثم بالوضوء وصلاة الصبح جماعة، وبعدها تفتح مع فجر ذلك اليوم صفحة جديدة مشرقة ناصعة البياض وتطوي بل وتحرق تلك الصفحات النتنة من حياتك، وهذه طريقة الرجال أصحاب الهمم العالية والنفوس الأبية التي استطاعت أن تحقق أغلى انتصار، فإن الانتصار على الهوى ضرب من الجهاد، فإن لم يكن أكبر من جهاد الكفار فلن يقل عنه . ففي مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «متنظر الصلاة من بعد الصلاة كفارس اشتد به فرسه في سبيل الله على كشحه تصلي عليه ملائكة الله ما لم يحدث أو يقوم، وهو في الرباط الأكبر»** .

** يقول ابن القيم رحمه الله : «إن جهاد الهوى إن لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه، قال رجل للحسن البصري رحمه الله تعالى : يا أبا=

الطريقة الثانية : طريقة التدرج :

وبمقتضاها أن تعدد خطاياك وفقاً لما ورد في فصل متقدم من هذا الكتيب أو ما لا يعرفه غير ربك ثم أنت ، ثم رتب هذه الخطايا الأكبر فالأصغر وكتبها ، وقد تستطيع الخلاص من كبيرة وصغيرة في نفس الوقت ، المهم في ذلك ما يلي :

(أولاً) : أن تسأل الله جل وعلا (بعد العزم على التوبة) أن يمد في عمرك «الذي لا تعلم متى انقضاؤه» حتى تطهر من جميع المعاصي والذنوب التي تقر وتتعترف بها أمام الله بها ، وأن تكثر من الدعاء في كل الأوقات وبالأخص في أوقات الإجابة بأن يخلصك مما أنت فيه .

(ثانياً) : ابدأ بترك الكبائر ثم الصغائر ، واستعن على ذلك بالصلاة في جماعة في المسجد في أول وقتها ، ولا يمنحك كونك (مدخناً) أن تزهد في الصف الأول ، فقط استخدم السواك أو الفرشة إن أمكن إلى أن يتوب الله عليك .

= سعيد ، أي الجهاد أفضل؟ قال : جهاد هواك . وسمعت شيخنا يقول : جهاد النفس والهوى أصل جهاد الكفار والمنافقين فإنه لا يقدر على جهادهم حتى يجاهد نفسه وهواه أولاً حتى يخرج إليهم» روضة المحبين ونزهة المستاقين ، ابن القيم الجوزية ، دار الجيل ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .

أخي - رعاك الله :-

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت، الآية: ٤٥]
 «والجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير» (١٣) .

فالصلاة والجليس الصالح من أهم العوامل المساعدة لك في هذه المرحلة بالذات حتى يقوى عودك وتنتصر بإذن الله في معركتك على أعدائك . وستستمر (الصلاة والجليس الصالح) في إمدادك بالخير وتزودك بالتقوى حتى ترحل .

(ب) معوقات السير:

قد يعترضك أثناء سيرك في هذه الرحلة المباركة معوقات جمة ، لكن حين تنكشف هذه المعوقات وتعرفها جيداً ، ويفتضح أمام ناظريك قطاع الطرق فلا خوف عليك في مواصلة السير بلا انقطاع أو انحراف ، ومع أنهم «قُطَاعُ الطَّرِيقِ» سيبدلون قصارى جهدهم لقطع الطريق عليك بشتى أنواع المغريات والملذات ولكن

(١٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «مثل الجلّيس الصالح والجلّيس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة » رواه البخاري في كتاب الذبائح والصيد حديث رقم ٥١٠٨ .

ما أن تكشفهم من مبدأ «اعرف عدوك» فإنهم لن يضروك بإذن الله شيئاً، وستبوء جميع محاولاتهم بالفشل الذريع وسيعودون إلى مخابثهم عليهم يجدوا فريسة غيرك ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس، الآية: ٦٢]. فمن هؤلاء الأعداء يا ترى؟

(١) الشيطان :

فقد كان جالساً في كرسیه حينما كنت في مركبة ويسير بك كيفما شاء، ولكن ما إن يعلم برغبتك في العدول عن طريقه واختيارك لطريق الخير فسينهض من كرسیه ويستصرخ معاونه وأتباعه من الجن والإنس ويستفز كل طاقاته بإغرائك تارة وتثيبت همتك تارة أخرى وبالتسويق^(١٤) والذي يعتبر أكبر وسائله نجاحاً.

(٢) الهوى: (١٥)

الهوى لغة : هوى النفس والجمع أهواء، وهوى يهوى هوى

(١٤) التسويق: أصلها سوف، قال سيويوه: سوف كلمة تنفيس فيما لم يكن بعد، ألا ترى أنك تقول سوفته إذا قلت له مرة بعد مرة: سوف أفعل «معجم الصحاح للجوهري، دار الحضارة العربية، بيروت ١٩٧٥م».

(١٥) لقاموس المحيط للفيروز أبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٩٩٤. لسان العرب، لابن منظور، المجلد السادس، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١.

أي أحب وهوى فهو هو أي أحبه ، و«استهوته الشياطين» ذهب بهواه وعقله أو استهامته وحيرته أو زينته له هواه ، والهوى «هوى النفس» ، والهوى العشق ، وهوى النفس إرادتها ، ويهوى أهوى أي أحب .

وهو الميل لرغبات النفس الأمارة بالسوء وذلك بعمل المعاصي والمنكرات «الشهوات» والزهد في عمل الطاعات «المكاره» فنستسلم لأمر الهوى فيقودنا كيفما يشاء ويتحكم في سلوكنا وتصرفاتنا وفق ما يتفق عليه النفس الأمارة والهوى المتبع ، وكم أردى من قتيل ذلك الهوى ، وما حالات سوء الخاتمة نسأل الله حسن الختام إلا دليل على فرط الهوى واتباعه .

٣) الجلوس السوء :

ما أبلغ من تشبيه من أتاه الله جوامع الكلم وسحر البيان ﷺ حينما شبه الجلوس السوء بنافخ الكير ، في الحديث «مثل الجلوس الصالح والجلوس السوء كحامل المسك ونافخ الكير» فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة» متفق عليه .

تأمل هذا الحديث الشريف جيداً وسترى الصورة البلاغية واضحة كالشمس إن أراد الله لك أن تراها ، إن جلوس السوء في

مستنقع من الوحل يفرح أشد الفرحة حين تهوي معه في تلك البركة القذرة لأنك تمنحه المؤانسة وعدم الشعور بالوحدة، ويغضب ويضيق أشد الضيق حين يراك ترغب في الطهارة من هذه الأوساخ؛ لذا فإن مصدر خطورته تتمثل في أنه سيعمل كالشيطان بكل طاقته بطريقة مباشرة وغير مباشرة في سبيل إعادتك إلى مستنقعه. وما دام الأمر كذلك فالهرب إلى من يطيبك بالمسك وتشعر معه بالطمأنينة والطهارة والمؤانسة الحقيقية غير المزيفة، إلى من يحملك إلى خيري الدنيا والآخرة، إلى المجلس الصالح.

بقي أن تعرف أن هؤلاء الأعداء الثلاثة: الشيطان، الهوى، المجلس السوء - يجمعهم حلف واحد وتعاون وثيق الصلة ضد النفس الخيرة لتحقيق هدف مشترك لا يخفى على كل ذي بصيرة، أما من أعطي عقلاً لا يتدبر وقلباً لا يفقه وعيناً لا ترى وأذناً لا تسمع ومن غلبت شهوته كل هذا، فما الفرق بينه وبين الأنعام بل إنه أضل منها كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف، الآية: ١٧٩]. ويقول أيضاً ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد، الآية: ٢٤].

ج) ثمار الرحلة:

أما عن ثمار هذه الرحلة المباركة حين يستتب لنا السير معاً وما سنجد في نهايتها فإن ذلك أكبر من أن يكتب، ناهيك عن أن يخصص له جزء في هذه الرسالة الموجزة، ولكن سنذكر بعضاً من هذه الثمار التي سنقطفها بحوله تعالى :

أولاً : محبة الله ومحبة نبيه ومحبة أولياء الله الصالحين :

وهذه المحبة من أكبر ثمار الاستقامة . لها وجهان :

الوجه الأول : محبة الله لك ، فالله جل وعلا يحب من يطيعه ويغضب على من يعصاه ففي الحديث الشريف : «وما تقرب إلي عبد أحب مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه» (١٦) .

(١٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكرهه =

فهل هناك أغلى وأنفس من محبة الله لك ، فيا سعادة ويا هناء من أحبه ملك الملوك ، ورب الأرباب ، إن أهدنا ليطير فرحاً حين يحبه وزير مقرب ناهيك من ملك ملوك الدنيا الذين من سماتهم الموت والذين لا يغنون من الله شيئاً .

الوجه الثاني : إن العبد بالتقربات والطاعات يتعرف على الله أكثر من العبد المعرض ؛ فيزداد محبة لله ويتلذذ بهذه المحبة ، قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمِ اللَّهُ مِنَ الَّذِينَ يُعْتَبِرُونَ مَا لَمْ يَكُن لَكُمْ بِهِ حِجَابًا﴾ [البقرة ، الآية : ٢٨٢] . ومن الادعية الواردة في السنة المطهرة : «اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد» (١٧) .

كما أن التقوى تزيد من محبتك لنيك محمد ﷺ لأنك ترى فيه الرحمة والهداية والفضل الذي بعثه الله إليك ، ولو كنت معرضاً لما رأيت هذا الفضل والرحمة .

=الموت وأنا أكره مساءته» رواه البخاري ، في كتاب الرقاق حديث رقم ٦٠٢١ .

(١٧) عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ «كان من دعاء داود يقول : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إلي من نفسي وأهلي ومن الماء البارد» قال : «وكان رسول الله ﷺ إذا ذكر داود يحدث عنه قال : كان أعبد البشر» رواه الترمذي في كتاب الدعوات حديث رقم ٣٤١٢ .

أما أولياء الله الصالحون فإن محبتهم والانس إليهم أحد ثمار الطريق المستقيم ، فهي محبة حقيقية في الله يجمعهم هدف نبيل ؛ ارتضاء الله لهم ، كل منهم يحب الخير لأخيه مثل ما يحبه لنفسه . وهذا لن يتحقق في ظل المحبة المزيفة القائمة على حطام الدنيا الفاني ، يقول تعالى على لسان نبيه ﷺ : « المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء » وقوله ﷺ : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١٨) .

ثانياً : صحبة الملائكة في الحياة الدنيا وفي الآخرة :

يقول تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون ﴿ [فصلت ، الآيات ٣٠-٣١] .

(١٨) عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : « ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى » رواه البخاري في كتاب الأدب حديث رقم ٥٥٥٢ .

وفي تفسير الجلالين هذه الآية الكريمة التي هي من أبرز ثمار التقوى إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا أي على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تنزل عليهم الملائكة﴾ عند الموت ﴿ألا تخافوا﴾ من الموت وما بعده ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد فنحن نخلفكم فيه ﴿نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا﴾ أي نحفظكم فيها ﴿وفي الآخرة﴾ أي نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة .

ثالثاً : متعة العبادة :

يقول أحد السلف : جاهدت نفسي على قيام الليل عشرين سنة ثم تلذذت بها عشرين سنة ويقول النبي ﷺ : ﴿جعلت قرّة عيني في الصلاة﴾ (١٩)

إن العاصي حين يذهب إلى المسجد فإن من أكبر دوافعه أن يسقط عنه الذنب فيما لو ترك الصلاة، ولكن الملتزم يذهب للمسجد ودوافعه الشوق لمناجاة ربه والتلذذ بالوقوف بين يديه جل وعلا . ففي حين أن الأول قد يحضر أثناء الإقامة أو بعد فوات

(١٩) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿حب لي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة﴾ رواه النسائي في كتاب عشرة النساء حديث رقم ٣٨٧٨ .

الركعة الأولى نجد أن الثاني يبادر في الصف الأول أثناء الأذان ليغتنم دعاء أو قراءة القرآن . وكلاهما يؤديان الصلاة لكن الفرق بينهما أن الأول لا يشعر باللذة والمتعة التي يشعر بها الآخر .

رابعاً : القناعة والرضا :

إن السعي وراء الدنيا له بريق يخطف الأبصار وليته ينتهي لكنه يتجدد وصدق المصطفى ﷺ حين قال : «لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب» (٢٠) .

وقد بين القرآن العظيم أن التقوى والإيمان تحد من هذا السعي وتقننه . وحينها فإن القناعة والرضا ستكون ثمرة لهذا التقين قال تعالى : ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (٢٣) وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿ [المعارج، الآيات : ١٩-٢٥] .

خامساً : الطمأنينة وراحة البال :

قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ

تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿﴾ [الرعد، الآية: ٢٨] فذكر الله يورث الطمأنينة وانسراح الصدر، والمعصية تورث ضيق الصدر والقلق الدائم قبل وأثناء وبعد، فقلق قبل تنفيذها أي أثناء التفكير فيها، وقلق حين ممارستها، وقلق بعد الانتهاء منها، وذلك من شؤم المعصية. يقول ابن القيم رحمه الله (٢١): «ولا تحسب أن قول الله تعالى ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٢) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿﴾ [الانفطار، الآيتان: ١٣-١٤]. مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط بل في دورهم الثلاثة هم كذلك، أعني دار الدنيا ودار البرزخ (*) ودار القرار. فهؤلاء في نعيم وهؤلاء في جحيم وهل النعيم إلا نعيم القلب؟ وأي عذاب أشد من الخوف والههم والحزن وضيق الصدر، وإعراضه عن الله والدار الآخرة وتعلقه بغير الله وانقطاعه عن الله، بكل واد فيه شعبه، وكل من تعلق به وأحبه من دون الله فإنه يسومه سوء العذاب» انتهى كلامه رحمه الله.

(٢١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن القيم الجوزية، دار اليقين للنشر والتوزيع - مصر ١٤١٣ هـ.
 (*) البرزخ: هو الحاحز بين شيئين، وهو أيضاً ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ «الجواب الكافي لابن القيم الجوزية» المرجع السابق.

ونختم هذا بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام، الآية : ١٢٥].

سادساً : ثمرة القلب في الخيرات وملذاتها :

إن القلب الحي يرغب في الاستزادة من عمل الخير؛ فهو يصل الرحم ويزور المريض ويتقرب إلى الله بالنوافل ويتصل بالله عن طريق الذكر والقرآن الكريم إلى غير ذلك من أوجه الخير، كل هذا بدافع المتعة التي يجدها في ممارسة الأعمال، ولإيمانه بأنه سيلقى أجر ذلك من الله عاجلاً أو آجلاً.

سابعاً : ذكر الموت والشوق للقاء الله :

قال ﷺ: «اذكروا هادم اللذات» (٢٢)، فالمؤمن التقي يذكر الموت ولذا فهو يعمل لما بعده، وقد يصل إلى الشوق للقاء الله إذ «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه» كما في الحديث

(٢٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد حديث رقم ٢٢٢٩، والنسائي في كتاب الجنائز حديث رقم ١٨٠١، رواه ابن ماجه في كتاب الزهد حديث رقم ٤٢٤٨.

الشريف (٢٣). ولكن ما أن تذكر الموت لبعضنا حتى يتبادر لذهنه ذلك الشبح المخيف الذي لا يريد سماعه ولا الخوض في حديث عنه، وبما أنه لا مناص منه ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة، الآية: ٨] فإن ذكره والعمل لما بعده ثمرة كبرى من ثمار الاستقامة التي قد تقودنا للشوق للقاء ربنا. اللهم فارزقنا الشوق للقائك.

ثامناً : حسن الخاتمة :

إن من ثمار طريق الخير خاتمة الخير، فلن ينطق بالشهادة عند الموت إلا من يسرها الله عليه وكان عمله خيراً. ونسمع ونقرأ من الشواهد ما يؤكد ذلك سواء عن حسن الخاتمة أو سوء الخاتمة - والعياذ بالله - كما أن المؤمن التقي يهون الله عليه مصيبة الموت عند نزع الروح منه.

تاسعاً : السعادة في الدنيا والآخرة :

إن السعادة مطلب جميع البشر على اختلاف مشاربهم بل ويسعون حثيثاً في البحث عن أسبابها والطرق المؤدية لها. إن طعم

(٢٣) عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» رواه البخاري في كتاب الرقاق حديث رقم ٦٠٢٦.

السعادة لا يباع ولا يشتري ولا يصرف من طبيب أو صيدلي إذ لا يملكه إلا الله جل وعلا الذي جعل السعادة (الحلم) حقيقة ملموسة في طريق واحد هو طريق الإيمان المؤهل لسعادة الدنيا والآخرة، كما أن طعم الإيمان ولذة الإيمان وحلاوة الإيمان تمثل أصل السعادة وحقيقتها، وخلاف ذلك قد نجد السعادة المزيفة المبنية على حطام ومتع الدنيا الفانية التي يصاحبها الشعور بالضيق وانعدام المتعة بتملك الأشياء مهما كانت نفيسة أو نادرة وكذا الملل من حمل القناع المزيف للسعادة. إن السعادة الحقيقية سلسلة مترابطة من النعم الربانية التي لا يمكن عدها أو حصرها ﴿إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل، آية: ١٧]. غير أن هذه النعم لا يمكن رؤيتها أو بعض حلقاتها ما لم تمتلك منظار التقوى الذي يمكننا من التلذذ بنعم الله الواحدة تلو الأخرى. وفقدان المرء لسعادة التقوى هو فقدان لجميع أنعم الله عليه حتى لو أحسها أو أمسكها بيديه فهي فاقدة النكهة عديمة الطعم والرائحة؛ قال تعالى ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل، آية: ٩٧].

عاشراً : الحرص على الكسب الحلال:

وتأتي هذه الثمرة لتمثل لبنة أساسية في بناء الحياة السعيدة، حياة الاستقامة؛ إذ أن الكسب الحلال مطلب أساسي وركيزة جوهرية للسير في طريق الخير، فهو الجالب للطمأنينة والقناعة والبركة التي يفتقدها أصحاب الملايين، وهو مصدر الرضا والروحانية الإيمانية حين تنفق وتتصدق وتعلم أن مصدره حلال. وخلاف ذلك الكسب الحرام الذي يمثل الوجه الآخر لطريق الشر بكافة صورته؛ فصاحبه لا يبالي من أين يكتسب المال، المهم في نظره هو جمعه بأي طريقة. وكلنا يعرف المفاصد الجمة التي تنطوي على الكسب بهذه الطريقة ليس على الفرد نفسه بل على أسرته والمجتمع ككل.

حادي عشر : النجاة من عذاب القبر :

ومن آثار «ثمار التقوى» أن الله سينجيك من عذاب القبر بل يجعل قبرك روضة من رياض الجنة، لا حفرة من حفر النار. وبها لها والله من ثمرة.

ثاني عشر : الفوز بالجنة والنجاة من النار :

وهي الثمرة الحقيقية التي أعدها الله تعالى ثواباً أو عقاباً، وهي

في آخر الطريق ونهاية الرحلة، وهي المبتغى والأمل المنشود؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا (٣٥) جزاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ ويقول أيضاً ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات، الآيتان: ٤٠-٤١]. إن المتقين قلوبهم معلقة بما عند ربهم وما أعده الله لهم، ليس اعتماداً على عملهم ولكن احتساباً للأجر والثواب بفضل الله ورحمته، بخلاف أصحاب الهوى الذين لا يرون إلا ما هو أمام أعينهم وقد حجبت عنهم شهواتهم وديناهم النظر أو التفكير في الموت وما بعده من ثواب أو عقاب. جعلنا الله جمعياً من الفائزين بالجنة والناجين من النار.

إرشادات خاصة :

فيما يلي بعض النصائح والعبر التي سبقنا بها أولو العلم والفضل علنا نجد فيها ما يعيننا على السير في طريق الاستقامة :

١ - لا تحمل نفسك من العبادات فوق طاقتها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن، آية: ١٦]. كما أن أحب الأعمال إلى الله

أدومها وإن قل (٢٤) فالخوف أن تثقل على نفسك فتتقاعس عن السير .

٢ - داوم بكل جد وعزيمة، وتوكل على الله على صلاة الجماعة كل الأوقات، ولا تتكاسل عن فرض واحد، وإن حصل وتأخرت عن فرض مع جماعة المسلمين لعذر مقبول فلا عليك ولا يكون ذلك مدخلاً للشيطان لأن يشبط همتك في الفرض الذي يليه بل استغفر الله وستجد أنك ما زلت في الطريق الصحيح .

٣ - داوم على قراءة القرآن الكريم يومياً مداومتك على الطعام والشراب، وما أجمل أن يكون ذلك قبل النوم لتختتم مشوارك اليومي (الدينيوي) بكلام الله أو أن تجعل ذلك بعد صلاة الفجر لتفتتح يومك بكلام الله وإن شئت فالأثنين معاً، المهم أن يكون لك وقت «ورد يومي ولو صفحة واحدة» حتى لو قرأت في أوقات أخرى من اليوم فلا بد أن تعتاد هذا الورد . وتأمل الخير الكثير فلو قرأت لمدة دقيقتين فقط «وفقاً لدراسة

(٢٤) عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل» رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم ١٣٠٥ .

الوقت والحركة»* لتبقى معك من يومك ثلاث وعشرون ساعة وثمان وخمسون دقيقة، وبعبارة أخرى لو قرأت صفحة واحدة فقط ثم قمت بحساب عدد أحرفها وضربتها في عشرة؛ والله يضاعف لمن يشاء لوجدت أرقاماً خيالية من الحسنات بإذن الله وذلك فضل الله.

ونعاود القول بالأثقل على نفسك بطاعة، فليس المهم أن تقرأ القرآن كاملاً في فترة قياسية، المهم أن تداوم على قراءته يومياً ولو صفحة واحدة، إذ فضلاً عن الحسنات في هذه الصفحة فستنجو بإذن الله ممن هجروا القرآن وقال الله فيهم: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان، آية: ٣٠].

٤ - إنك في هذه المرحلة الانتقالية من طريق الشيطان إلى طريق الرحمن ومن طريق الشر إلى طريق الخير ومن طريق التعاسة إلى طريق السعادة فإنك أحوج ما تكون إلى الرفيق الصالح؛ فالزم رعاك الله جلساء الخير، أهل الفضل، التائبين العابدين؛ فإنهم يفرحون بك كفرحة أهلك حين عودتك من غيبة طويلة أو أشد، وسيكونون بإذن الله خير معين لك في

* إحدى الدراسات التي أجراها علماء متخصصون في علم الإدارة.

رحلتك وخير رفيق على درب السعادة وأنتك حين تألفهم فلن تقوى على بعدهم؛ قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف، الآية: ٢٨].

٥ - داوم إن استطعت في كل سجدة الدعاء «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»^(٢٥) فإذا كان هذا دعاء نبيك محمد ﷺ في سجوده وهو النبي والرسول وأتقى البشر، فكيف بنا معشر الضعفاء الخطأون.

٦ - إن غض البصر عن النظر المحرم من أسباب الخشوع في الصلاة وإرضاء للرحمن وإغضاب للشيطان، كما أن الله تعالى سيديقك حلاوة الإيمان تجدها في قلبك مع المداومة

(٢٥) حدثنا أبو موسى الأنصاري حدثنا معاذ عن أبي كعب صاحب الحرير حدثني شهر بن حوشب قال: قلت لأم سلمة: يا أم المؤمنين! ما كان أكثر دعاء رسول الله ﷺ إذا كان عندك؟ قالت: «كان أكثر دعائه: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالت: فقلت: يا رسول الله! ما أكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، قال: يا أم سلمة! إنه ليس آدمي وإلا قلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام ومن شاء أزاغ» فتلا معاذ: ﴿ربنا لاترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا﴾ رواه الترمذي في كتاب الدعوات حديث رقم ٣٤٤٤.

على ذلك واحتساب للأجر، وعكس ذلك سهم تجده في قلبك من سهام إبليس وإضاعة للحسنات وكسب للسيئات وقساوة في القلب ومرضاة للشيطان ومفاسد جمّة قد تنتهي أحياناً بالزنا - والعياذ بالله ثم النكسة والعودة إلى طريق الهلاك - لا سمح الله - وصدق نبينا محمد ﷺ فيما رواه عنه أسامة بن زيد في هذا الشأن: «ما تركت بعدي فتنة أضرم على الرجال من النساء» (٢٦).

٧ - إن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية كقيلة بمساعدتك للخلاص مما أنت فيه من معاصم وذنوب وأخطاء «وكلنا ذو خطأ» ولكن في هذا المقام لا نستطيع حصر ما جاء به القرآن العظيم والسنة المطهرة في هذا الشأن ولكننا نختم هذه الإرشادات بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان ، آية: ٧١].

وعن النبي ﷺ فيما رواه عن ربه: «ومن تقرب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً،

وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول» (٢٧) . بالإضافة إلى ما سبق من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فلو آمننا بالله رباً وبمحمد نبياً وبالإسلام ديناً . واحتسبنا الأجر والثواب عند الله - لكان ذلك خير معين لنا في سلك طريق الاستقامة .

وصايا محب قبل الوداع

- ١ - ابتعد عن أماكن الشبهات .
- ٢ - استغل أوقات فراغك بما ينفع ولا تستسلم له .
- ٣ - مارس أنواع الرياضة أو الهوايات النافعة وفق الضوابط الشرعية .
- ٤ - استبدل عاداتك القديمة الفاسدة بعادات جديدة نافعة مثل :
 - استبدل شريط الغناء بشريط إسلامي .
 - أعف لحيتك بدلاً من حلقتها المستمر .
 - استمع إلى إذاعة القرآن الكريم بدلاً من سماعك للغناء وما لا ينفع .
 - استبدل الدخان بالسواك .
 - سافر لأقاربك بدلاً من سفرك للغواني والماجئات .
 - تقرب إلى الله بتقصير ثوبك المسبل .
 - تعرف على بلادك بلاد الطهر بدلاً من أن تتعرف على بلاد الكفر والإباحية .
- ٥ - قم بزيارة أي مستشفى لتعرف قدر نعمة الصحة والعافية ،
وقم بزيارة لإحدى المقابر لعلك تقدر قيمة حياتك قبل أن تنزل القبر حيث الحساب بلا عمل .

الخاتمة

إن من كرم الله وفضله على عباده أن جعل باب التوبة والعودة إليه مفتوحاً حتى يغرغر العبد قبل الموت أو أن تطلع الشمس من مغربها.

ليس هذا فحسب بل إنه جل وعلا يتنزل في الثلث الأخير من كل ليلة إلى السماء الدنيا ويقول: «هل من سائل يعطيني، هل من داع يستجاب له، هل من مستغفر يغفر له» حتى ينفجر الصبح - كما مر في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة.

فلنعلم أن الله واسع المغفرة غافر الذنب قابل التوب «شديد العقاب» فلو أن سائقك أو مرؤوسك أو ابنك أو أخاك الأصغر أطاع أمرك وامتنع عما حذرته منه «ولله المثل الأعلى» لأقر عينك وأثلج صدرك وكافأته بالإحسان إحساناً، وفي المقابل لو عصاك وخالف أمرك، فلو حلمت عليه فلن يطول حلمك؛ مهما كنت حليماً ستصل إلى درجة تنهال بعدها عليه باللوم والعقاب، فسيحان الحليم الودود.

فهل من إدراك؟! وهل من صحوة من ذلك السبات العميق؟! وهل من عقل يتفكر ويتدبر؟! فكم من الآيات تخاطب أولي

الأبصار وأصحاب العقول إذ ليس أبلغ من كلام الله عز وجل ،
 من لم يعظه كلام الله فليس له من واعظ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ
 يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات، الآية: ٥٠] ، ولكن هذه محاولة مخلصة
 لإنارة الطريق والدعوة للعودة لخالقنا وخالق الأولين والآخرين ؛
 فإن استجبنا فذلك خير وهذه أمنية وهذا فضل من الله ومنه ، وإلا
 فلنذكر هادم اللذات والذي لا بد آت آت وكفى به واعظاً .

أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن ينفعنا ويهدينا
 وجميع المسلمين ويردنا إليه رداً جميلاً إنه سميع قدير وبالإجابة
 جدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام
 على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .